

## مراجعة كتاب

### "المسجد الأقصى المبارك"

المؤلف: الدكتور محمد هاشم غوشة

الناشر: دارة القدس للبحوث والتوثيق والإعلام - القدس

عدد الصفحات: 260

#### تلخيص

عدّ المؤلف هذا الكتاب "أضخم كتاب توثيقي للمسجد الأقصى المبارك" في رسائله الإعلامية للترويج للكتاب، واعتبره أفضل ما تم إخراجة إلى الآن فيما يتعلق بالمسجد الأقصى المبارك من عمل جمعي أكاديمي علمي، وتحدث المؤلف في لقاءات إعلامية عن الكتاب قائلاً إنه استقى مادته من مصادرها الأصلية من مخطوطات ووثائق نادرة موجودة في المسجد الأقصى المبارك. وهو عبارة عن كتاب مصور يحوي معلومات مختلفة حول المسجد الأقصى المبارك وآثاره المختلفة. ويقع الكتاب في 260 صفحة ملونة من القطع الكبير جداً، وأصدرته دارة القدس للبحوث والتوثيق والإعلام في القدس عام 2009.

#### الكتاب

أول ما يلاحظه الناظر إلى الكتاب افتقاره إلى عناصر الكتاب العلمي، فقد خلا من الفهارس والخاتمة وثبت المصادر والمراجع. وهذه الأخيرة بالذات تضعف قيمة

الكتاب العلمية إلى درجة يصعب معها قبوله ككتاب علمي أو أكاديمي. ولم يشر المؤلف في مقدمة الكتاب الموجزة إلى منهجه في جمع المادة أو تصنيفها أو ترتيبها، وأسهب بدلاً من ذلك في الحديث عن تجربته في البحث عن تمويل لطباعة الكتاب بميثة فخمة "تليق بالمسجد الأقصى المبارك"، ويبدو أن هدف المؤلف من الكتاب كان إبراز جماليات بناء المسلمين في أروقة وأجزاء المسجد الأقصى المبارك لا الهدف العلمي بحد ذاته.

ويبدأ المؤلف بمدخل موجز يوضح من خلاله موقع المسجد الأقصى المبارك وشكله ومفهومه، وأوجز بعض ما ورد في المصادر الإسلامية الأساسية من حديث حول أهمية المسجد ومكانته في الإسلام. ومن ثم يبدأ الحديث عن أجزاء المسجد الأقصى المبارك منطلقاً من الجامع القبلي الذي يطلق عليه لفظ (المسجد الأقصى المسقوف)، ويفرد المؤلف فقرة لكل فترة تاريخية مرت على الجامع، بدءاً ببناء الأمويين، مروراً بالعباسيين فالفاطميين فالأيوبيين فالماليك فالعثمانيين وأخيراً المجلس الإسلامي الأعلى. وهنا تجدر الإشارة إلى مجموعة من الملاحظات العلمية على ما ذكره المؤلف هنا، فالمؤلف أهمل بعضاً من أهم الفترات التاريخية التي مرت على الجامع وعلى بيت المقدس كلها، ومن ذلك فترة الاحتلال الصليبي الذي كان له آثار كثيرة في الجامع وفي المسجد الأقصى المبارك كله، وكذلك أهمل المؤلف ذكر الإعمار الأردني للجامع، والذي كان له أثر واضح في إجراء تعديلات في البناء وفي الشكل والزخارف والعناصر المختلفة، وهذا يدل على عدم اهتمام المؤلف بالتسلسل التاريخي الدقيق لما مر على الجامع إلا بما يستطيع أن يجد من رقوم تاريخية فيه، وحتى هذه بدا من الواضح قصور المؤلف في استيعابها وقراءتها، فإحطاً غير مرة في قراءة الرقوم والنقوش الموجودة في الجامع القبلي، مما جعل النصوص أحياناً تبدو غير مفهومة، ومن ذلك على سبيل المثال قراءته للنص الأشهر والأوضح في الجامع القبلي فوق المحراب، وهو نص تأريخ السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب لتجديد المحراب وعمارة المسجد بعد فتح بيت المقدس، فالمؤلف (2009: 34) يقرأ النص على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بتحديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو أعلى التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، عندما فتحه الله عليه يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسائة، وهو يسأل الله إزاء شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة

من الواضح هنا أن النص بهذا الشكل غير مفهوم، فلفظ (أعلى التقوى) غير صحيح وإنما هو (على التقوى مؤسس)، أي أن تأسيسه كان على التقوى، وأما كلمة (إزاء) فهي تجعل النص كله غير مفهوم وغير واضح المغزى، وهذا طبيعي، لأن الكلمة الصحيحة الواضحة في هذا الرقم هي (إيزاعه)، وهي مأخوذة من الآية الكريمة عن سليمان عليه السلام (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ) (النمل: 19).

كما ذكر المؤلف (2009: 42) أن في مقام الأربعين محراباً جميلاً، وهذا غير صحيح، فمقام الأربعين الذي يقع داخل الجامع القبلي في الجهة الشرقية منه لا يحتوي أي محراب، ويحق لي التساؤل هنا إن كان المؤلف قد نقل هذه المعلومة من مصدر ولم يتبين ذلك بنفسه، خاصة وأنه نعت هذا المحراب بالجميل دون أن يكون هناك محراب أصلاً.

ومن ثم تكلم المؤلف عن مصلى الأقصى القديم والمصلى الرواني مهماً في كلامه فترات مهمة مثل الفترة الصليبية، واكتفى بتغطية الصفحات بصور كبيرة للمكانين. كما أهمل الحديث عن كيفية افتتاحهما للصلاة في العقود القليلة الماضية، مما يخلق فراغاً معلوماتياً بصعب ملؤه بالصور فقط.

أما عند الحديث عن قبة الصخرة فقد حاول المؤلف الإسهاب في الكلام عنها بشيء من التفصيل، ملغياً في نفس الوقت فترة الاحتلال الصليبي من تاريخ القبة، وهو من الفترات المهمة في تاريخ القبة حيث أثرت على شكل الصخرة نفسها وغيرت الكثير من المعطيات التي كانت معروفة سابقاً. وكان المؤلف موفقاً في عرض الاهتمام العربي والمسلم بالقبة وصيانتها باستمرار خلال الحكم الأموي والعباسي والفاطمي

والأيوبي والملوكي والعثماني، إلا أنه بدا من الواضح افتقار بعض المعطيات التي ثبتها المؤلف إلى الدقة، فهو على سبيل المثال (2009: 74) يقول إن الفتحة الموجودة في الصخرة "يبلغ نصف قطرها حوالي متر" مما يعني أن قطر الفتحة يبلغ حوالي المترين، وهذا بعيد كثيراً عن الدقة، فقطر الفتحة كلها لا يتجاوز النصف متر، وهذا أقل أربع مرات مما صرح به المؤلف.

وبعد ذكر حائط البراق باختصار، انتقل المؤلف ليتكلم على ماذن المسجد الأقصى المبارك الأربعة، فأرخ لكل مئذنة باستثناء آخر ترميم شهدته المآذن الأربعة في العقدين الماضيين. وانتقل بعدها ليذكر الأروقة، وتكلم هنا عن رواقين فقط من أروقة المسجد الأقصى المبارك، وهذا الرواقان هما الرواق الغربي والرواق الشمالي، والحق أن هناك رواقاً ثالثاً للمسجد في الناحية الشرقية، ولعل المؤلف أهمل الحديث عنه لأنه لم يبق منه إلا جزء يسير اكتشف عام 2000 أثناء فتح البوابات الأمامية القديمة للتسوية الشرقية التي تسمى اليوم (المصلى الروابي). وتكلم المؤلف بعد ذلك باختصار عن كل باب من أبواب المسجد الأقصى المبارك المفتوحة والمغلقة، ومن اللافت أنه تمكن أن ينشر صورة الباب المنفرد المغلق الذي يصعب مشاهدته في السور الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك.

وانتقل المؤلف بعد ذلك ليتكلم عن جامع المغاربة المسمى اليوم (المتحف الإسلامي)، وضمنه صوراً مختلفة من عدد من المقتنيات التي يحتوي عليها المتحف اليوم، وانتقل بعدها إلى الحديث عن البوائك (القناطر) المحيطة بقبة الصخرة المشرفة. مفرداً مساحةً للرقوم الأثرية الموجودة على بعض هذه القناطر، واستثنى المؤلف بعض هذه الرقوم مما لم يتمكن من قراءته على ما يبدو بالرغم من إيراده لصورة لهذه الرقوم.

وبعد ذلك أفرد المؤلف بندا للحديث عن "الجوامع" في الأقصى المبارك، وهي جامع النساء الذي نسبه إلى صلاح الدين دون النظر إلى الخلاف الموجود بين المؤرخين في بانيه، خاصة وأن عدداً لا بأس به من الدراسات تعتبر أن هذا المبنى من بناء

الصليبيين، وجامع سليمان (كرسي سليمان)، وجامع البراق، وقبة مهد عيسى التي اعتبرها المؤلف جامعاً.

وتكلم المؤلف بعد ذلك عن المنابر، وهي اثنان بدأها بمنبر نور الدين محمود الذي نسبته إلى صلاح الدين يوسف، وهذا خطأً بين، فالمنبر صنعه نور الدين وبه عرف، وإنما جاء به صلاح الدين إلى المسجد الأقصى المبارك بعد فتح بيت المقدس واسترداد المنطقة من الصليبيين، ولذلك لا يصح أن ينسب هذا المنبر له وإن عرفه العامة بهذا الاسم. وأفرد المؤلف البند التالي للكلام عن القباب المنتشرة في المسجد الأقصى المبارك مفرداً مساحةً لكل قبة للحديث عن موقعها وتاريخها وترميمها. إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن المؤلف خلط بين قبتين من قباب الأقصى المبارك هما: قبة يوسف (2009: 165)، وقبة يوسف آغا (2009: 163)، فقبة يوسف توجد في ساحة الصخرة المشرفة من الناحية الجنوبية، وهي قبة ليس من أهداف بنائها على الأرجح إلا أن تكون تذكيراً للسلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولذلك يوجد فيها لوحة تذكارية من عهد السلطان صلاح الدين، والثانية بنيت على يد يوسف آغا ولذلك سميت باسمه، وهي تستعمل اليوم مكتباً لتذاكر المسجد الأقصى المبارك، أما قبة يوسف فليس لها اليوم وظيفة أخرى في الأقصى. وقد خلط المؤلف كما يبدو فختم حديثه عن كل قبة من القبتين بنفس العبارة وهي: "ويعرف موضع القبة اليوم بمكتب تذاكر المسجد الأقصى"، وهذا غير صحيح في حق قبة يوسف لأنها قبة صغيرة جداً ومفتوحة وليس فيها اليوم مكتب.

وخصص المؤلف البند التالي للكلام عن مصادر الماء في المسجد الأقصى المبارك، تلاها الحديث عن مساطب الأقصى المبارك، محاولاً في كل واحد من هذه المعالم أن يذكر الرقوم التي يحتويها المعلم والتي تؤرخ للإنشاء أو الترميم، وكان المؤلف يسعى في كل مرة إلى إعادة هذه المعالم إلى أصولها. وبعد ذلك ركز المؤلف على خلوات المسجد الأقصى المبارك التي أطلق عليها اسم (غرف السدنة)، وليس كل هذه الغرف تستعمل للسدنة. وذكر الاسم الأول الأصلي لكل واحدة من هذه الخلوات مع ذكر تاريخها

ووصف بسيط لها. وختم المؤلف الكتاب بالحديث عن مدارس الأقصى المبارك ومعاهد العلم فيها، مختصراً بعض المدارس القديمة التي لم يذكرها ولو يوضح سبب عدم وجودها وخاصة مدارس الجهة الشمالية من المسجد الأقصى المبارك، والتي لم يذكر منها إلا مدرسة واحدة هي المدرسة الإسعديّة.

من الملاحظات العامة على الكتاب افتقاره لأهم عنصر من عناصر الكتابة العلمية وهي التوثيق، فجميع معلومات الكتاب غير موثقة ولا يوجد فيها أي إشارة إلى مصدر المعلومة، وكان من أهم الملاحظات أن المؤلف ذكر غير مرة خلال دعايته الإعلامية لهذا الكتاب أنه أخذ معلوماته من المخطوطات والوثائق الأصلية النادرة في المسجد الأقصى المبارك كما أسلفت في بداية هذه المراجعة، إلا أن هذا القول غير صحيح تماماً على ما يبدو، فلدى مراجعة مصادر ومراجع أخرى باللغة الإنجليزية تبين أن كثيراً من المعلومات التي وردت في الكتاب وخاصة المسميات الأصلية التي تعود للعصر العثماني مشابهة كثيراً لما ورد في عدة مصادر مكتوبة باللغة الإنجليزية وأهمها الكتاب المرجعي المهم Ottoman Jerusalem: The Living City 1517-1917 للمحررين Sylvia Auld و Robert Hillenbrand، والذي صدر في لندن عام 2000 عن Altajir World of Islam Trust. وتشابه كثير من المعلومات الموجودة في كتاب غوشة مع المعلومات المنشورة قبل تسع سنوات يجعل من الصعب افتراض أن هذه المعلومات لم تقتبس أو تترجم عن هذا الكتاب، وعدم ذكر هذا المرجع أو غيره باعتباره مصدراً للمعلومات الواردة في كتاب غوشة يفقد هذا الكتاب قيمته العلمية. إلى جانب ذلك، يعاني الكتاب من ضعف في جودة بعض الصور الواردة فيه، وهذا واضح في الصور الداخلية للمباني وخاصة البناء الأموي في الجامع القبلي (2009: 32-33) وقبة الصخرة (2009: 68-69) وغيرها.

والحصول هي أن هذا الكتاب ليس له قيمة علمية أو فنية كبيرة، فهو في مجموعه عبارة عن تجميع لصور مختلفة ونصوص مجتزأة، بعضها كما يبدو ترجم عن مراجع إنجليزية كما أوضحت، لم تغط الفترات التاريخية كلها، ولم تعط القيمة التي يمكن أن

يفهم معها سعر الكتاب الذي يعتبر عالياً (يبلغ سعر الكتاب مائة وخمسين دولاراً أمريكياً) بالمقارنة مع القيمة العلمية والفنية المنخفضة للكتاب للأسف. ولكن يبقى هذا الكتاب محاولةً لإبراز جماليات المسجد الأقصى المبارك لمن يرغب في ذلك أكثر منه عمل علمي أكاديمي. ويمكن القول إن الكتاب نجح في أجزاء منه بإبراز بعض هذه الجماليات، خاصة في بعض الصور الخارجية لمعالم المسجد، ولكنه لم يكن موفقاً كثيراً في إبراز جماليات معالم الأقصى المبارك الرئيسية من الداخل، خاصة جماليات الفسيفساء الأموية التي تعد بحق أروع وأجمل ما يحتويه المسجد الأقصى المبارك من تقنيات فنية رفيعة الذوق والمستوى.

د. عبدالله معروف عمر

